مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 25 عدد: 58 السنة: 2021

المسائل النّحويّة في كتاب لطائف الإشارات وأثرها في تفسير المعاني

The grammatical issues the book of Lataif el -Icharet and its effects on the interprétation of meanings

بن أحمد فايزة[1]
طالبة دكتوراه كليّة العلوم الإسلاميّة جامعة الجزائر 01
f.benahmed@univ-alger.dz

تاريخ الوصول 05 /2020/04 القبول 2021/04/50 النشر علي الخط 2021/09/15
Received 05 /04/2020 Accepted 05/04/2021 Published online 15/09/2021

ملخص:

يتطرّق هذا المقال إلى بيان المسائل النحوية وما لها من دلائل ومعاني انعكست إيجابا على المعنى التّفسيريّ، فزادته توضيحا وبيانا، وقد خصّصت كتاب لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام القسطلاني بالدراسة والتّمحيص.

فانطلقت من طرح إشكالات متنوعة تتلخّص أبرزها في محاولة فتح آفاق بحث لاستخراج شخصيّة الإمام اللّغويّة والتفسيريّة في ثنايا كتابه، بعدما عرف بالمحدّث، وتكمن أهمية الموضوع في إبراز قيمة هذا الكتاب الّذي يعدّ بمثابة موسوعة علمية، إذ أنّه ضمّ بين جوانبه أشتاتا لعلوم شتى من بينها أراء تفسيرية، وترجيحات لغوية، واختيارات في مجال القراءات القرآنية ورسم القرآن.

وقد خلُص البحث إلى جملة من النّتائج، لعلّ أهمّها تلكم الآراء النّحويّة المبثوثة في الكتاب، كرفض مسألة العطف على الجوار، بالإضافة إلى اختيارات في مجال رسم القرآن والقراءات القرآنيّة، كمسألة التّواتر، ومعنى الأحرف السّبعة وغيرها.

الكلمات المفتاحية: التفسير، القرآن الكريم، المسائل اللغوية، لطائف الإشارات.

Abstract:

this article deals with explaining linguistic and grammatical issues and their evidence and meanings that have positively reflected on the interpretative meaning, so it was clarified and clarified, and I have devoted a book of references to the arts of recitations to Imam Al-Qastalani with study and scrutiny.

The work in this research was the definition of the author and his book to open horizons for researchers to spend efforts on it, then divided language issues and showed the extent of its contribution to detonating good meanings and opening up horizons, and perhaps the most important problem that can be launched from it is to reveal the contribution of Imam Al-Qastalani to enrich the interpretation through his book Signal spectrum.

The importance of the topic lies in highlighting the value of this book, which is considered a scientific encyclopedia, as it included scattered aspects of its various sciences, including explanatory opinions, linguistic recitals, and choices in the field of Quranic readings and drawing of the Qur'an, to conclude at the end that the author of the book was a skilled linguist who enabled him with his skill In this art of making his own choices, he was not merely a vector, but he was critical of some issues, noting many scholars, so his book deserved to be a haven for researchers from different disciplines

Keywords:Interpretation, the Noble Qur'an, linguistic questions, book of Lataif el icharet.

1 المؤلف المرسل: فايزة بن أحمد البريد الإلكتروني: f.benahmed@univ-alger.dz

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1. مقدمة:

الحمد لله الّذي أنزل القرآن العظيم وجعله نورا تحيى به القلوب و تفرّج به الظّلمات والكروب، وتمسح به الخطايا وتشفى به البلايا، بلغنا بالقراءات المتواترات، فحفظ من النّقصان والزّيادات، والصّلاة والسّلام على أشرف خلق الله، محمّد النّبيّ الأمين وعلى آله الأطهار وصحبه الطّيّبين، ثمّ أمّا بعد:

فإنّ القرآن الكريم دوحة مباركة باسقة أفنانها، عكف عليه الدّارسون، وتناولته الأقلام من عدّة جوانب، وجاءت آيات الذّكر الحكيم بما اشتهر عند فطاحل العرب من جميل أسلوب وأرقى معنى، فهبّ العلماء لبيانها واستخراج مكنوناتها من توجيه وبلاغة وتفسير وتحرير، ومن جملة هؤلاء الأبرار شهاب الدّين القسطلّانيّ الّذي ضمّن كتابه لطائف الإشارات لفنون القراءات شتّى أنواع العلوم، من فقه وتفسير ورسم وتحرير، وقد كانت المسائل اللغوية حاضرة بقوة في هذا السفر العظيم، استثمرها أبو العباس لإعطاء النص القرآني آفاقا تفسيرية رحبة، فكان العمل على التعريف به وبكتابه ومن ثمّ بيان أثر تغير المعاني انطلاقا من المسائل اللغوية التي حوتها.، فتساءلت عن مدى مساهمته في إثراء اللغة عموما والنحو على وجه الخصوص، باعتماد القراءات القرآنية وما حملته من دقائق إعجازيّة، لاسيما في باب التفسير، كركن ركين دون الطعن فيما خالف بعض الأقيسة اللغويّة؟ وإلى أيّ مسار نحويّ كان يجنح فهل كان بصريّا مغاليا، أم كوفيّا معتدلا؟

وقد كان من بين أسباب اختياري لهذا الموضوع، إماطة اللّثام عن شخصيّة الإمام في جانبها اللّغويّ بعدما ذاع صيته وعُرف في العالم الإسلاميّ بالمحدّث، نتيجة القبول الّذي حظي به شرحه النفيس لصحيح إمامنا البخاري والمسمّى بإرشاد السّاري في شرح صحيح البخاري، كما رام البحث تحقيق بعض الأهداف منها، إبراز جهود الإمام القسطلّاني في المسائل اللّغوية وكيفية انعكاسها على المعنى التفسيريّ من خلال كتابه لطائف الإشارات، وللإجابة على تساؤلات الإشكالية وتحقيق الأهداف المرجوّة، كان استقراء كتاب اللّطائف لزاما، ومن ثمّ سرد نماذج لمسائل لغوية ونحوية وعرضها على المنهج التحليليّ لبيان أثرها وقيمتها التفسيرية.

2. ترجمة الإمام القسطلّاني والتّعريف بكتابه لطائف الإشارات:

1.2 . ترجمة الإمام القسطلّاني:

هو أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن الحسين بن علي المصريّ الشّافعي، ويعرف بالقسطلّاني نسبة إلى قسطيلية وهي تونس حاليا نزح إليها أحد أجداده فسمّي بها، ولد الإمام بعاصمة مصر سنة إحدى وخمسين وثمانمائة (851هـ) في الثّاني عشر من شهر ذي القعدة، أمّه حليمة بنت الشّيخ أبي بكر النّحاس، أمّا زوجه فهي العالمة الزّاهدة المشهورة عائشة الباعونيّة تزوّجها الإمام عند قدومها لمصر.[1]

لبث الإمام القسطلانيّ في بلده طيلة حياته، ولم يغادره إلّا لزيارة البقاع المقدّسة، فقد كانت مصر آنذاك قبلة الأنظار من شتّى الأقطار، وملاذ العلماء والأدباء لا سيما بعد سقوط أهمّ منارات العلم بالعالم الإسلاميّ، فحفظ القرآن ومتونا شعرية في فنون مختلفة، كالتّجويد والقراءات ورسم القرآن، وتلا كتبا عديدة كالمنهاج في أصول الفقه الشّافعي، ونظم الحاوي في فروع الشّافعيّة على مشايخ زمانه،[2] ولما بلغ أشدّه واستوى تقلّد جملة من المناصب ، كالخطابة والوعظ بالجامع الغمري و بالشّريفيّة بالصبّانين ، بل وبمكّة أيضا في مواسم الحجّ والعمرة، أين كان يجتمع حوله الجمّ الغفير من الطّلبة،[3]كما ولي مشيخة مقام سيّدي الشّيخ أحمد الحرّار بالقرافة الصّغرى، وجلس لإقراء

---

[1].عبد القادر العيدروس، النّور السّافر في أخبار القرن العاشر، تحقيق محمّد الأرناؤوط وأكرم التّونسي،دار صادر، بيروت، ط1، 2001، ص: 165

[2] محمّد بن علي الشّوكاني، البدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السّابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (10/1).

[3] أحمد بن محمّد القسطلّاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق: مكتبة الدراسات القرآنيّة، طبعة مجمع الملك فهد، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1434، (16/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النّاس وإسماعهم الحديث، ثمّ تعاطى الشّهادة فترة، ليتفرّغ بعدها للتّأليف، فجادت محبرته بأروع العناوين الخادمة لطلبة العلم في مختلف تخصّصاتهم.[1]

عمّر أبو العبّاس القسطلّاني ما يزيد على سبعين سنة حافلة بالعلم والعطاء، حيث اتّفقت جميع المصادر المترجمة له أنّ وفاته كانت سنة تسعمائة وثلاثة وعشرين، واختلف في يوم وفاته من شهر محرّم،[2] وجاء في بدائع الزهور أنّه كان عقب فالج أصابه، حيث أغمي عليه وسقط عن دابّته، فما لبث أن فاضت روحه بعد أيّام من هذه الحادثة، ودفن بالمدرسة بجوار منزله بعد أن صلّي عليه يوم الجمعة. [3]

2.2 . مكانة الإمام العلميّة:

كانت نشأة الإمام القسطلانيّ علميّة منذ صباه، إذ إنّه حفظ القرآن في سنّ مبكّر، [4] كما عاصر كبار علماء دهره الّذين سطع نجمهم في سماء مصر آنذاك، كالحافظ محمّد بن عبد الرّحمن السّخاوي(902هـ)، والحافظ جلال الدّين السّيوطي(911هـ) وشيخ الإسلام زكريّا الأنصاري(926هـ)، ممّا جعله يستقرّ في هذه البيئة العلميّة وينهل أوّل الأمر عن أئمّة بلده، فاجتهد وقرأ الكتب وحفظ المتون فذاع صيته بحظيرة الإسلام واشتهر بكونه محدّثا وقد بوّأه كتابه إرشاد السّاري لشرح صحيح البخاري هذه المكانة السّامقة، كما عرف بالإقراء وبراعته في هذا الفنّ، فحظي قلمه بثناء من العلماء تترى ، فقيل عنه في مقام مدح:" بليغ العبارة حسنُ الجمع والتّأليف لطيف التّرتيب والتّرصيف" ولم يكتف بهذا بل جعل كتبه عمدة لمعاصريه فقال:" أُعطي السّعادة في قلمه وكلمه وصنّف التّصانيف المقبولة الّتي سارت بها الرّكبان في حياته".[5]

3.2 .التّعريف بفهرس كتاب لّطائف الإشارات :

كتاب اللّطائف سفر عظيم ينبئ عن مكانة أبي العبّاس ورسوخ قدمه في مجالات عديدة تطرّق إليها، فهو بمثابة موسوعة شاملة، إذ إنّ صاحبه جمع فيه عصارة كتب المتقدّمين وخلاصة آراء المتأخّرين فجاء جامعا لأشتات الفضائل، وقد اتّبع فيه المنهجيّة التّالية:

1/ تقسيمه الكتاب إلى قسمين رئيسيّين، خُصّ الأوّل للوسائل وهي عبارة عن مقدّمات ومباحث في القراءات وعلوم القرآن، أمّا القسم الثّاني فعُني بالمقاصد، وهو ما يبحث فيه عن الكلمة بالنّظر إلى ما يغيّر معناها غالبا، وقسّم بدوره إلى أصول وفرشيّات.

2/ رتّب القسطلّانيّ في قسم الوسائل مسائل شتّى وفق خطوات منظّمة، فاستهلّ بفضائل أهل القرآن واستشهد بأحاديث بيّن درجتها في الغالب، ثمّ عرّج على مباحث علوم القرآن فذكر اسماءه وعدد سوره وطريقة نزوله، وتطرّق بعد ذلك إلى ما ورد من أقوال في حقيقة الأحرف السّبعة وخلُص إلى رأي محدّد في المسألة، ليذكر أبو العبّاس بعدها حفّاظ الصّحابة ومنهجيّتهم في جمع القرآن، ثمّ خصّ القراءة بالبحث والتّمحيص فذكر شروط قبولها وترجم للقرّاء الأربعة عشر مع التّنويه إلى روّاتهم وطرقهم وبيان أهميّة الإسناد، ليختم هذا القسم بأصول العلوم الّتي سيذكرها في كتابه ورتّبها كالآتي: (أحكام التّجويد، عدّ الآي، الوقف والابتداء، الرّسم العثماني، الاستعادة ومباحث التّكبير، آداب التّلاوة).[6]

---

[1] المصدر السابق، (103/2).

[2] عبد الحيّ بن أحمد بن محمّد المعروف بابن عماد، شذرات الذّهب، تحقيق: محمّد الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، دمشق، ط1، 1986/1406، (122/8).

[3] محمّد بن إياس، بدائع الزّهور ووقائع الدّهور، تحقيق : محمّد مصطفى ، مكتبة دار الباز، مكّة المكرّمة، ط1،1975/1395،(282/6).

[4] نجم الدّين الغزّي، الكواكب السّائرة بأعيان المائة العاشرة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1997/1418، (128/1).

[5] عبد القادر العيدروس، النّور السّافر، ص: 166.

[6] أحمد بن محمّد القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، (23/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3/ في قسم المقاصد شرع القسطلّاني ببيان أصول القراءات ورتّبها كما ذكرت في النّشر، مضيفا تعليقاته وترجيحاته، بل واختياراته أحيانا، وقد جعل كتبا متعدّدة المشارب عمدته، كالنّشر لابن الجزري، والدّر المصون للسّمين الحلبي، والبحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي وغيرها، ثمّ انتقل إلى فرش الحروف مرتّبا إيّاه على سور القرآن محتجّا لكل قراءة، رادّا على كلّ طاعن، مستدركا على كلّ واهم، ذاكرا ما ورد في كلّ سورة من أحكام الرسوم والوقف، ليختم بعد ذلك بذكره للأوائل والأرباع والأجزاء، وقد سار على هذا النّهج من فاتحة الكتاب إلى سورة النّاس، وجعل من باب التكبير خاتمة للّطائف.[1]

3.المسائل النحوية في كتاب اللّطائف وأثرها في تنوع المعنى التفسيري.

1.3. موقف القسطلاني من آراء النحاة.

كان الإمام القسطلانيّ(923ه) ذا شخصية بارزة في ميدان النّحو، فلم يتأثّر بصنيع النّحاة في ميادين مختلفة ويظهر ذلك من خلال اعتماده الأحاديث النبويّة كحجة يستدّل بها على عكس ما شاع عند بعض أرباب هذا الفنّ ، إذ نجده يوظّف حديث المصطفى ﷺ في قوله: (هل أنتم تاركو لي صاحبي) [2] في مسألة الفصل بين المتضايفين، أين فرّق سيّد البشر ﷺ بالجارّ والمجرور في قوله هذا، وهو فرع شبيه بالقضيّة سالفة الذّكر[3]، بالإضافة إلى إنكاره تلك المعضلة التي ظهرت عند النحاة، ألا وهي تلحين القراءات القرآنيّة التّي تخالف أقيستهم اللّغويّة، فكان شديد الحسم في هذا الموضوع، ولعلّه أخذ برأي جلال الدّين السيوطي(911ه) المعاصر له إذ يقول: " السّلامة عند أهل الدّين أن لايقال إحداهما أجود لأنّهما جميعهما عن النبيّ ﷺ ، فيأثم من قال ذلك". [4]

من هذا المنطلق عاب القسطلانيّ على كلّ من نحا هذا النحو بصريّا كان أم كوفيّا، واصفا إيّاه بعبارات لاذعة مهما كانت منزلته، فنراه يردّ على أبي عبيد القاسم بن سلّام (224ه) الإمام النّحرير الّذي يعتبر أول من ألّف في فنّ القراءات القرآنيّة، بعبارات قاسية لما خطّأ القارئ ابن عامر(118ه) أعلى القرّاء سندا في قراءته لفظ " الغداة" بالواو مع إضافة الألف واللّام لها، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ {الأنعام 52}، وفي قوله تعالى﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾ {الكهف 28}، فقال ابن سلام(224ه) أنّه ليس للواو دليل من الكتاب، كما العرب لا تدخل الألف واللّام في الغدوة لأنّها معرّفة بالعلميّة ، فشنّع عليه أبو العبّاس واستشهد من كلام العرب بما يدلّ على قراءة ابن عامر، ثم ختم بقوله: "وكأنّه لم يحفظ لغة " [5].

وبالاستقراء الكامل لكتاب اللطائف يظهر أنّ صاحبه مستقلّ عن المدرستين، إذ إنّه يرجّح آراء بصرية أحيانا وكوفيّة أحيانا أخرى، وقد يقف موقف الحياد فلا ينتصر لأيّ فريق، يشهد على هذا ما ورد عنه وهو يردّ على الزّمخشريّ (538ه) الطّاعن في قراءة الإبدال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ {سورة البقرة الآية06} حيث قرئت(ءانذرتهم) وقال بأنّها تؤدّي إلى الجمع بين ساكنين.

---

[1] أحمد بن محمّد القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، (23/1).

[2] أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر، رقم الحديث: 3661، المطبعة السّلفيّة، القاهرة، ط1، 1400، (2108/5).

[3] المصدر السابق، (2109/5).

[4] جلال الدّين عبد الرّحمن السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعوديّة، د.ط، 1426ه (83/1).

[5] أحمد بن محمّد القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات،(2108/5) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولما كان جار الله لغويا حاذقا، ذكّره الإمام بمذهب الكوفيّين المجيز لذلك.[1]

وفي موضع آخر نجده يخطّئ المذهب الكوفيّ في إهماله لعمل إن المخفّفة ، وقد يجنح للحياد غالبا – وهذا دأبه في كثير من مسائل الخلاف– لما تتشعبّ أقوال الطّرفين، والأمثلة من اللّطائف عديدة، منها موقفه من إمالة لفظ كلتا، فاحتجّ لمن قلّل وأمال وقفا بأنّه تابع لمدرسة البصرة القائلة بتأنيث هذه الألف، أمّا من وقف بالفتح فقد نحا المنهج الكوفيّ الّذي يرى أنّ ألف كلتا للتثنية لا للتأنيث [2].

2.3. المسائل النحويّة وأثرها في تغيّر المعاني التّفسيريّة.

1.2.3 مسألة العطف على الضّمير:

هي قضيّة شائكة بين أرباب المدرستين البصرية والكوفية ، أمّا الكوفيّون فيجيزون العطف على الضمير من غير اشتراط لإعادة الخافض، ولهم في ذلك شواهد نقلية كقوله تعالى:﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾ { البقرة 217}، أين عُطف لفظ المسجد على الضّمير قبله، هذا إلى جانب ما ورد عن العرب في قولهم: **" ما فيها غيره وفرسه"** بالخفض عطفا على الهاء من غير إعادة المضاف، أمّا نحاة البصرة فعلى عدم الجواز، باعتبار أن الجار والمجرور شيء واحد، ثمّ إنّه لا يجوز عطف المظهر المجرور على المضمر المجرور[3]، يقول سيبويه(180هـ) مقوّيا هذا الرّأي: " ...وإن حملت الثاني على الاسم المرفوع المضمر فهو قبيح، لأنّك لو قلت: اذهب زيد كان قبيحا حتى تقول اذهب أنت وزيد ".[4]

وقد تطرّق القسطلانيّ(923هـ) لهذا الخلاف عند توجيهه لقراءة حمزة بخفض ميم الأرحام في قوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ { النّساء 01}، أين عرض ما جاء في الآية من مطاعن المفسّرين و اللّغويّين، لاسيما أقطاب المدرسة النحويّة البصريّة، حيث ذكر أنّ الفرّاء (207هـ) أغلظ بوصف المتواتر بالقبيح محتجّا بأنّ العرب لا تردّ مخفوضا على مخفوض قد كنيّ ، ثم ذكر مساهمة المسألة في إثراء المعنى التفسيريّ بتوسيعه، فعلى مذهب الكوفيّين المجيز للعطف، جُرَّ لفظ الأرحام على القسم تعظيما لها وحثّا على صلتها وحُذف الجارّ للعلم به، ويضيف القسطلّانيّ موضحا أنّها لا حرج بالحلف بغير الله مادام المولى يقسم بما شاء من مخلوقاته كالشمس والنجم والليل وغيرها[5]، أمّا على المذهب البصريّ فالأرحام منصوبة عطفا على لفظ الجلالة، فيكون تقدير الكلام: اتّقوا اللّه واتّقوا قطع الأرحام، ففي الأولى قسم بعظمتها وفي الثّانية حثّ على صلتها.[6]

2.2.3 مسألة الحقيقة والمجاز:

الحقيقة هي إسناد الفعل أو معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر، أمّا المجاز فهو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له، غير ماهو له بتأوُّل. [7]

بناء على هذا، اختلف المعنى التّفسيريّ في قوله تعالى:﴿ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا ﴾ { الآية 06 من سورة المائدة} فهل المراد باللمس ههنا حقيقته – وهو التقاء بشرتي الرجل والمرأة– أم أنّه كناية عن الجماع؟[1]

---

[1] أحمد القسطلاني، لطائف الإشارات، (1401/4).

[2] المصدر نفسه، (2631/6) / (2761/6).

[3] ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الاختلاف، تح: محيي الدّين عبد الحميد، دار الفكر، (463/2)

[4] سيبويه، الكتاب، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1988/1408، (349/2)

[5] أحمد القسطلاني، لطائف الإشارات، (1830/5)

[6] محمّد بن يوسف الشّهير بأبي حيّان، تفسير البحر المحيط، تحقيق: علي عوض وجماعة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان،ط1، 1993/1413، (165/3).

[7] الخطيب القزويني جلال الدين بن محمد، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003/1424، ص:33.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معلوم أنّ اللّفظ إذا تردّد بين الحقيقة والمجاز حُمل على الحقيقة حتى تدلّ قرينة على عكس ذلك، من هذا المنطلق ذهب جمهور الفقهاء من مالكيّة وشافعيّة وحنابلة إلى أنّ المقصود باللّمس ههنا حقيقته، وبالتالي فهو ناقض للوضوء، وفصّل مالك فاعتبر اللّذة والقصد معيارا لانتقاضه، ورأى الحنفيّة غير هذا، فقالوا أنّ الملامسة في الآية مقصود بها الجماع، فاللّامس بيده لم يجر له ذكر في الآية .[2]

وقد تطرّق صاحب اللّطائف إلى معاني هذه اللفظة بين الحقيقة والمجاز بعد عزوه للقراءات الواردة فيها، ثمّ صرّح بمذهبه الفقهي فقال: " والقراءة بالألف بمعنى ماسستم بشرة النساء ببشرتكم وبه استدلّ إمامنا الشّافعي على أنّ اللمس ينقض الوضوء". [3]

3.3.3 مسألة الفصل بين المتضايفين:

انقسم النّحويّون حول هذه المسألة، فقال الكوفيّون بالجواز، واحتجّوا بشواهد عربيّة منها قول الشاعر: [4]

فَأَصبَحتْ بعْدَ خَطَّ بَهْجَتِهَا كَأَنَّ قَفْرًا رُسُومَها قَلَمَا

ومعنى البيت: فأصبحت فقرا بعد بهجتها كأنّ قلما خطّ رسومها، فالشاعر ههنا فصل بين المضاف(بعد) والمضاف إليه(بهجتها) بالفعل خطّ، إلّا أنّ البصريين يرون عدم جواز ذلك بغير الظّرف أو حرف الجرّ [5]، مستشهدين بقول ذي الرّمة (117هـ) :[6]

كّأَنَّ أصواتَ من إيغالهنَّ بنا أواخر الميس أصْوَاتُ الفراريج.

ففي هذا الشاهد فصل بين المضاف والمضاف إليه (أصوات أواخر الميس) بحرف الجرّ.

وقد ساق القسطلانيّ هذه المسألة في توجيهه لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ { الأنعام 137}

حيث ضعّف نحاة البصرة وبعض المفسّرين قراءة ابن عامر الدّمشقي(118هـ) الّذي رُوي عنه (زُيّنَ) ببنائه للمفعول، ورفع لام (قَتْلُ) على ما لم يسمّ فاعله، ونصب(أولادَهم) على المفعول بالمصدر، وجرّ (الشّركاء).[7]

وحجّة من طعن، ردّهم لوجه الفصل بين المضاف(قتلُ) والمضاف إليه (شركائهم) بالمفعول به (أولادهم)، وهذا ما لا يجيزه البصريون باعتبار أنّ المضاف والمضاف إليه شيء واحد لا يفصل بينهما،[8] فذهب النّحاس (338هـ) أنّها لا تجوز في شعر ولا نثر[9]، ووصفها ابن عطيّة المفسّر(541هـ) بضعيفة الاستعمال .[10]

---

[1] عبد الوهاب عبد السلام، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام، مصر، ط2، 2000، ص: 178.

[2] محمّد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضمّنه من السّنة وأي الفرقان، تح: عبد الله عبد المحسن التّركي، مؤسّسة الرّسالة، د.ط، د.ت، (373/6).

[3] أحمد القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، (1863/5).

[4] البيت من بحر المنسرح بلا نسبة ، ابن جنّي، الخصائص، تح: محمد النّجار، المكتبة العلميّة، دط، دت، (330/1).

[5] ابن الأنباري، الإنصاف ص: 347.

[6] البيت من بحر البسيط، لذي الرمة، ديوانه، تحقيق: عماد القدوس أبي الصّالح، شرح أحمد بن حاتم الباهلي، مؤسّسة الإيمان ، بيروت، 1982.

[7] أحمد بن محمّد بن إسماعيل النّحاس، إعراب القرآن الكريم، تحقيق: زهير زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1988/1409،(98/2). / المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمّد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2001/1422، (158/6).

[8] أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، (352/2).

[9] أحمد بن محمّد بن إسماعيل النّحاس، إعراب القرآن الكريم،(98/2).

[10] أبو محمّد عبد الحق بن عطية، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (158/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد كان لهذا الإشكال النحويّ بالغ الأثر في بيان معنى الشّركاء، فعلى وجه الفصل بين المضاف والمضاف إليه، فإنّ الشّركاء قاتلون وإن لم يكونوا مباشري القتل باعتبارهم المزيّنين لهذا الفعل، وعلى وجه عدم الفصل وهي قراءة الجمهور، بفتح زاي (زَيَّن) ونصب لام القتل(قتلَ) على المفعوليّة، وخفض(أولادهم) الدّال على الإضافة مع رفع
(شركاؤهم)، يكون هؤلاء الشركاء مزيّنين للمشركين قتل أولادهم خوف العار والعيْلة.[1]

4.3.3 مسألة الاشتراك:

تطرّق القسطلاني إلى مسألة الاشتراك في لفظ الطّهر وهو يوجّه قوله تعالى[2]: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ {البقرة 222}، فهل المقصود بالطهر انقطاع الحيض؟ أم أنه حاصل بالماء.

يقول ابن رشد أنّ الطّهر لفظ مشترك يقع على ثلاثة معاني:

- انقطاع دم الحيض
- طُهر جميع الجسد بالماء
- طُهر الفرج بالماء .[3]

وقد انبثق من مسألة الاشتراك هذه رأيين فقهيين، أمّا الرّأي الأوّل فهو مذهب الأئمّة الثّلاثة(المالكية والشافعية والحنابلة) والّذي مفاده أنّ المراد بالطّهر هنا هو الاغتسال بالماء، وهذا ما تؤكّده السّنة الشّريفة ، وقراءة التشديد المرويّة عن أبي بكر(194هـ) وحمزة(156هـ) والكسائي(189هـ) وخلف(229هـ) الدّالة على المبالغة، وقال أبو حنيفة(150هـ) أنّ المرأة إذا طهرت لأكثر الحيض جاز قربانها، وأكثر الحيض عند الحنفيّة عشرة أيّام، أمّا إن طهرت لأقلّ من ذلك لم يجز حتى تغتسل .[4]

وبهذا تكون مسألة الاشتراك في لفظ الطّهر؛ بين انقطاع دم الحيض والاغتسال بالماء قد ساهمت في زيادة بيان للمعنى التفسيري نتيجة الآراء الفقهيّة المنبثقة عنها.

والمتأمّل منهجيّة الإمام يجده صريح التّعبير بمذهبه الفقهيّ من خلال قوله (إمامنا الشّافعي)، (مذهبنا المختار)، (الرّاجح عندنا) إلّا إذا تعلّق الأمر بتفضيل قراءة على أخرى لا ثبات مذهب فقهيّ أو نحويّ، فإنّه يلتزم الحياد، ولا يدلي برأيه، بل يعيب وبقوّة على من انتهج هذا الصّنيع، لذلك نجده التزم الحياد ههنا، ولم يصرّح برأيه ولا مذهبه، مخافة أن يعتقد أنه طريق للترجيح بين القراءات القرآنيّة.

5.3.3 مسألة اشتراط التّعريف في عطف البيان:

بيّن أبو العبّاس(923هـ) هذه المسألة وهو بصدد توجيهه لقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ﴾ { المائدة 95}

---

[1] أحمد القسطلاني، لطائف الإشارات، (2109/5).

[2] أحمد القسطلّاني، لطائف الإشارات، (1571/4)

[3] ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق: عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1997/1418، (

[4] ابن عبد البر القرطبي، الاستذكار الجامع لمذاهب الأمصار، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الوفى حلب والقاهرة، ودار ابن قتيبة دمشق وبيروت، ط1، 1993/1414، (188/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث قرأ نافع(167هـ) و أبو جعفر(120هـ) وابن عامر(118هـ) (كفّارةُ) بغير تنوين مع خفض (طعام) على الإضافة، بينما قرأ بقية القرّاء(ابن كثير(120هـ) ، أبو عمرو(155هـ) ، الكوفيون، يعقوب(205هـ) ، خلف(229هـ)) بتنوين (كفارة) و رفع (طعامُ) على أنّه عطف بيان على أصول المذهب الكوفيّ.

وقد كان لهذه المسألة أثر في تنوع المعنى التفسيريّ وتغايره، إذ إنّ قراءة الرّفع تعني أنّ الطّعام هو الكفّارة نفسها، باعتبار أنّه من جنسها وبه تتمّ الكفارة، أمّا قراءة الخفض فلا اعتبار فيها أنّ اللّفظين (الكفارة والطعام) بمعنى واحد، إذ إنّ التّكفير يكون بالطّعام وبالجزاء وبالصّيام، فكانت الإضافة مخصّصة ومبيّنة لذلك .[1]

وتنوّع الحكم الفقهيّ بناء على تغاير المعنى التّفسيريّ، فذهب جمهور الفقهاء إلى التّخيير بين تقويم الكفارة دراهم أو طعاما فيُطعم لكلّ مسكين مدّا، أو يصوم مكان كلّ مدّ يوما وهو في هذه الثّلاثة بالخيار، وعلى هذا تكون الكفارة غير الطعام.

وروى ابن عبّاس(68هـ) قولا آخر يفرّق فيه بين عدد المساكين الّذين يتمّ إطعامهم تبعا لحجم الصّيد المقتول.[2]

6.3.3 مسألة الخفض على الجوار: في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾ {المائدة 6}، ووجّه القسطلانيّ القراءات القرآنيّة الواردة في الآية وهي:

* قراءة نافع(167هـ) وابن عامر(118هـ) وحفص(180هـ) والكسائي(189هـ) ويعقوب(205هـ) بنصب اللّام عطفا على أيديكم.

*قراءة باقي القرّاء (ابن كثير(120هـ) ، أبو عمرو(155هـ) ، شعبة(173هـ) ، حمزة(156هـ) ، أبو جعفر(130هـ) ، خلف (229هـ)) بخفض لفظ (أرجلكم) عطفا على برءوسكم.

واحتجّ أصحاب النّصب أنّ فرض الأرجل الغسل كالوجه واليدين، فيكون تقدير الكلام : واغسلوا أرجلكم، وهذا ما تؤكّده السّنة ، أمّا من قرأ بالخفض فعطف على رءوسكم لفظا ومعنى، ثمّ نُسخ هذا الحكم، أو يحمل على مسح الأرجل في بعض الأحوال كلبس الخفّ مثلا، كما وُجّهت هذه القراءة أن فيها تنبيها لعدم الإسراف في الماء فعُطف اللفظ على الممسوح للدّلالة على ذلك.

وأعطى القسطلانيّ(923هـ) توجيها نحويا آخر لهذا الحرف، فقال أنّه منصوب في المعنى على الأيدي المغسولة وإنّما خفض على الجوار[3]، وإلى هذا المعنى ذهب الأخفش(221هـ) وأبو عبيدة(209هـ) والزّمخشريّ(538هـ) [4]، لكنّه ما لبث أن ضعّف هذا الرّأي، بعدما ذكر حجّة من قال به، ودليله في ذلك أنّ العطف على الجوار يكون في النّعت لا في العطف، فلمّا استدرك على هذا الرّأي عُلم أنّه مرجوحٌ لديه.

أمّا ابن الحاجب (646هـ) فله رأي آخر، حيث قال: " ليس الخفض على المجاورة وإنّما على الاستغناء بأحد الفعلين عن الآخر، فيكون المعنى اغسلوا أرجلكم وهذا كثير في كلام العرب".[5]

ويتّضح ممّا سبق أنّ أبا العبّاس أعطى المسألة بعدا وعمقا تفسيريّا رغم كونه من الرافضين لمسألة العطف من وجهة نحويّة.

---

[1] أحمد القسطلاني، لطائف الإشارات، (1972/5)

[2] القرطبي، أحكام القرآن، (204/8).

[3] أحمد القسطلاني، لطائف الإشارات، (1936/5).

[4] الزمخشري، الكشّاف، (208/2)

[5] عبد العال سالم مكرم، أثر القراءات القرآنيّة في الدراسات النحوية، مؤسّسة علي جرّاح الصّباح، الكويت، 2009، ص: 483

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7.3.3. مسألة رافع الاسم بعد الظرف

في خلاف بين البصريين والكوفيين، يرى الفريق الأوّل أنّ الاسم يرتفع بالابتداء إذا تقدّم عليه الظّرف، ويرتفع بالظّرف نفسه عند الكوفيّين ، ووافقهم المبرّد(286هـ) والأخفش(221هـ) .[1]

ونوّه القسطلانيّ إلى المعنى التفسيري المترتب عن هذه المسألة النحويّة، وهو يذكر القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ { الكهف 88} حيث ذكر أنّ قراءة الرّفع على الابتداء من غير تنوين الموافقة لمذهب البصريّين والمرويّة عن نافع (169هـ) وابن كثير(120هـ) وابي عمرو(155هـ) وابن عامر(118هـ) وخلف(229هـ) ويعقوب(205هـ) ، مقصود بها **الفعلة الحسنة**، أي له جزاء الخلال الحسنة الّتي أتاها، أمّا قراءة النّصب الموافقة للمذهب الكوفيّ والمروية عن الكوفيين وأبي جعفر فالمراد بها **الجنّة**، وقد عبّر عن هذا الثّراء التفسيريّ بقوله: " والمراد على قراءة النصب الجنّة، وعلى الأخرى الفعلة الحسنة".[2]

4. خاتمة:

الحمد لله الّذي بفضله تتمّ الصّالحات، والصّلاة والسّلام على خير السّادات محمّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين، نخلص ممّا سبق بيانه إلى الآتي:

*كتاب اللّطائف موسوعة علميّة وتتمثّل قيمته فيما حواه من مادّة لغوية وشرعية وافرة إذ ضمّ بين جوانبه آراء نحويّة ولهجيّة وتفسيريّة.

*في مجال القراءات القرآنيّة يأبى القسطلّانيّ ترجيح قراءة على الأخرى بل يردّ بشدّة على اللّغويين والمفسّرين الّذين جنحوا إلى هذا الصّنيع فكان ينبّه آخر كلّ خلاف إلى ضرورة اعتماد القراءة أصلا أصيلا.

*القسطلّاني النّحويّ ليس مقلّدا ولا متّبعا مدرسة نحويّة معيّنة، وإنّما اعتمد في توجيهه النّحويّ للقراءات ما جاء عن أئمّة هذا الفنّ، فكان يحتجّ أحيانا بأقوال بصريّة ويميل في أحيان أخرى إلى آراء كوفيّة.

*بيّنت هذه الدّراسة بعض المسائل اللغوية الواردة في كتاب لطائف الإشارات فنون القراءات وأثرها في تنوع التفسير وتغايره.

ومن أهمّ التّوصيات الّتي يمكن تقديمها للباحثين:

1 - إعادة قراءة تمحيصيّة للتّفريق بين أقوال القسطلّانيّ وغيره في الكتاب، حيث قال في أحيان كثيرة: وأقول وأجيب، فيظنّ الباحث إلى أنّ الرّأي له والأمر ليس كذلك في الغالب

2 - الكتاب موسوعة لغويّة بامتياز، والنّظر في المسائل الخلافيّة للقسطلّانيّ بين المدرستين البصريّة والكوفيّة، أو داخل المدرسة عينها وحصرها للدّراسة والتّمحيص يعدّ موضوعا جيّدا للبحث.

[1] إبراهيم السّامرّائي، المدارس النحوية أسطورة وواقع، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 1987، ص: 64.

[2] أحمد القسطلاني، لطائف الإشارات، (2794/7).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5. قائمة المراجع:

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1 إبراهيم السّامرّائي، المدارس النحوية أسطورة وواقع، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 1987.

2 -محمّد بن أحمد بن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق: عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1997/1418.

3 -يوسف بن عبد الله ابن عبد البر القرطبي، الاستذكار الجامع لمذاهب الأمصار، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الوفى حلب والقاهرة، ودار ابن قتيبة دمشق وبيروت، ط1، 1993/1414.

4 محمد بن عبد الحق بن عطيّة، أبو محمّد عبد الحق الأندلسي ، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2001/1422.

5 عبد الحيّ بن أحمد بن محمّد بن عماد، شذرات الذّهب، تحقيق: محمّد الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، دمشق، ط1، 1986/1406.

6 -عبد الرحمن بن أبو الوفاء المعروف بأبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الاختلاف، دار الفكر، القاهرة، د.ت.

7 - عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار اكتب المصرية القاهرة، د.ط، دت

8 محمّد بن يوسف بن علي الشّهير بأبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: علي عوض وجماعة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان،ط1، 1993/1413.

9 -محمّد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، المطبعة السّلفيّة، القاهرة، ط1، 1400.

10 - أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2006/1427..

11 - أحمد بن محمّد القسطلّاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق: مركز الدّراسات القرآنيّة، طبعة مجمّع الملك فهد، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1434.

12 - محمد بن عبد الرحمن بن عمر، الشّهير بالخطيب القزويني جلال الدين بن محمد، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003/1424.

13 - محمود بن عمر أبو القاسم الزّمخشريّ، الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل ، تحقيق: عادل عبد الموجود و محمّد عوض وآخرون، مكتبة العبيكان، ط1، 1998/1418.

14 - عمرو بن عثمان بن قنبر الشّهير بسيبويه، الكتاب، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1988/1408.

15 - جلال الدّين عبد الرّحمن، السّيوطي، ،لإتقان في علوم القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعوديّة، د.ط، 1426هـ

16 - عبد العال سالم مكرم، أثر القراءات القرآنيّة في الدراسات النحوية، مؤسّسة علي جرّاح الصّباح، الكويت، 2009.

17 - عبد القادر العيدروس، النّور السّافر في أخبار القرن العاشر، تحقيق محمّد الأرناؤوط وأكرم التّونسي، دار صادر، بيروت، ط1، 2001.

18 - عبد الوهاب عبد السلام، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام، مصر، ط2، 2000.

19 - محمّد بن إياس، بدائع الزّهور ووقائع الدّهور، تح: محمّد مصطفى، مكتبة دار الباز، مكّة المكرّمة، ط1، 1975/1395.

20 - محمّد بن علي الشّوكاني، البدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السّابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،د.ط، د.ت.

21 - نجم الدّين الغزّي، الكواكب السّائرة بأعيان المائة العاشرة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1997/1418.

22 - أحمد بن محمّد بن إسماعيل النّحاس، إعراب القرآن الكريم، تحقيق: زهير زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1988/1409.

الدّواوين الشعرية:

23 - غيلان بن عقبة الشّهير بذي الرمة، ديوانه، تحقيق: عماد القدوس أبي الصّالح، شرح أحمد بن حاتم الباهلي، مؤسّسة الإيمان ، بيروت، 1982

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com